هذا حظ الشيطان منك ثم غسل بما زمزم الذي هو اشرف المياه ومن هذا
اخذ البلقيني انه افضل من الكوثر ونوزع فيه بما رددته في شرح العباب
فلما طهر قلبه عليه السلام وبولغ في تطهيره بما لم يبالغ به في غيره كان
افضل العالمين ونبي الانبيا والمرسلين والحاصل ان القلب محل الاعتقادات
والعلوم والافعال الاختيارية فلكونه محلا لهذه الخصوصية الالهية
التي تدرك بها الكليات والجزئيات ويفرق بها بين الواجب والجايز
والمستحيل امتاز به الانسان عن بقية انواع الحيوان لانه وان وجدها
شكله وقام بها ما تدرك به مصالحها ومنافعها وتميز به بين مفاسدها
ومضارها الا ان هذا ادراك جزئي طبيعي وشتان ما بينه وبين الادراك
الكلي للعلمي الاختياري وبهذا المعنى امتاز ايضا عن بقية الاعضا بكونه
اشرفها ومن ثم كانت مسخرة ومطيعة له بما استقر فيه طهر طبعها وعملت
بمقتضاه ان خيرا فخير وان شرا فشر فكان صلاحها بصلاحه وفسادها
بفساده وبهذا ظهر ان الحواس معه كالحجاب مع الملك لانها تدرك المعلومات
اولا ثم تؤديها اليه ليحكم عليها ويتصرف فيها فهي الات وخدم له وهي كا
قومه كملك مع رعيته ان صلح صلحوا وان فسدت فسدوا ثم يعود
صلاحهم وفسادهم اليه بزيادة المصالح او المضار الراجعة منها اليه
ومن ثم لم يكن تبعيتها له وتاثيره باعمالها تتا في لما بينهما من تمام الملازمة
وشدة الارتباط وقيل بل هي معه كملك بنيت له حصون طاقات تشاهد
من كل منها ما لا يشاهد من الاخرى لنا ان النايم لو فتحت عينه لم
يدرك شيئا حتى يستيقظ فحينئذ يدرك فلا ادراك للحواس بذاتها
وانما المدرك هو من وراها ورد بان البهايم لا قلب لها بالمعنى الذي
قررناه وتدرك بالحواس وكذا المجنون فدل على انها مستقلة
بالادراك وعدم ادراك النايم يحتمل انه لمعنى قايم بنفس تلك الحواس
لا لعدم ادراك القلب وقد تسمى العقل قلبا مجازا لغة كما في قوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلفنا به وعدم انفكاكه
عنه صار كانه هو ومن ثم اضاف تعالى اليه العقل كما اضاف الاسماع الى
الاذن والابصار الى العين فقال افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار الاية وبهذا
ايضا يرد على من قال انه في الدماغ ايضا ونسبت لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
وعليه الاطبا واحتجاجهم بانه اذا فسد فسد العقل غير مفيد لان الله
اجرى العادة بفساده عند فساد الدماغ مع انه ليس فيه ولا امتناع

من ذلك

77

من ذلك قال الماوردي لا سيما على اصولهم في الاشتراك الذي
الذي يذكرونه بين القلب والدماغ وهم يجعلون بين راس
المعدة والدماغ اشتراكا وفيه بسط بينته في شرح العباب
اوايل الخطبة فاذا بان ان صلاح القلب اعظم المصالح وفساده
اشد المفاسد ولا بد من معرفة ما به صلاحه ليطلب وما به
فساده ليجتنب فالذي به صلاحه علوم وهي العلم بالله
تعالى وصفاته واسمايه وتصديق رسله فيما جاءوا به مع العلم
باحكامه ومراده منها والعلم بمساعي القلوب من خواطرها وهمومها
ومحمود اوصافها ومذمومها واعمال وهي تحلية بمحمود تلك
الاوصاف وتخلية عن مذمومها ومنازلة للمقامات وترقية
عن مفضول المنازلات واحوال وهي مراقبة الله تعالى وشهود
بحسب تهيئته واستعداده كما مر في شرح قوله صلى الله عليه
وسلم ان تعبد الله كانك تراه وتفصيل ذلك في كتاب الاحياء وفي
كالاحيا وقوت القلوب فاطلبه فانه مهم قيل ومما يصلحه
تدبر القران وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند التفرغ
عند السحر ومجالسة الصالحين وراس ذلك الاعظم اكل
الحلال واجتناب الشبهات فانها تورثه قسوة وظلمة وتجر
الى الحرام كما مر وقد قال عليه السلام فيمن غذي بالحرام يقول
يا رب فانى يستجاب لذلك وقال كل لحم نبت من سحت
فالنار اولى به وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه مرفوعا ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه
فان هو تاب صقل قلبه قال وهو الران الذي ذكره تعالى
في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الا وان في
الجسد مضغة الخ بعد قوله الحلال بين اشعارا بان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)